

التذكّر يمنع وساوس الشيطان



الإنسان المتّقّي، يقف في النّقطة المواجهة للشيطان. قد يذنب قليلاً، لكنّه يتذكّر فوراً بأنّه أذنب وينهمك بتعويض ما خسره. (...) بمجرد أن يعبر الشيطان من جانبه وتهبّ عليه رياحه، يشعر على الفور بأنّه ممسوسٌ من الشيطان وواقع في الغفلة والخطأ؛ "تذكّروا"، أي أنّّه يتذكّر. "فإذا هم مبصرون".

مجموعة من الدروس القرآنية للإمام الخامنّي التي فسّرها سماحته وشرحها ضمن خطاباته.

إِنَّ السّٰذِیْنَ اَتَقَوْا اِذَا مَسَّهُمْ طٰٓئِفٌ مِّنَ الشّٰیْطٰنِ تَذَكَّرُوْا فَاِذَا هُمْ مُبْصِرُوْنَ

يقظة الإنسان المتَّقِي في المواجهة مع الشيطان

في المصطلحات القرآنية، تقع التقوى في النقطة المقابلة للغفلة. (١) التقوى تعني أن واطبوا على أن يكون كل عملٍ يصدر عنكم مطابقاً للمصلحة التي قدّرها لكم □ عزّ وجل. والتقوى ليست بالشيء الذي يستطيع أحدهم تركه لحظة واحدة. فإن الطريق زلقة لو تخلّينا عنها، وسوف ننزلق ونسقط، إلى أن تطال أيدينا شيئاً نمسك به وننتشل أنفسنا. "إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون" (٢). (٣)

الذّكر يعني تذكّر □ في الأحوال كلّها

ما هو الذّكر؟ هناك رواية عن أبي عبدا □ (عليه السلام)، ورواية أخرى حازت على اهتمامي بشكل أكبر، لكن سوف أقرأ كلا الروايتين. الرواية الأولى هي عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام)؛ قال الإمام الباقر (سلام □ عليه): "ثلاثٌ من أشدّ ما عمل العباد": أوّلاً، "إنصاف المؤمن من نفسه"؛ (٣) ثانياً، "ومواساة المرء أخاه" (٣) وثالثاً "ذكر □ على كلّ حال"؛

ثمّ يفسّر الإمام الباقر (عليه السلام) في نفس هذه الرواية، "ذكر □ على كلّ حال" قائلاً: "وهو أن يذكر □ عزّ وجل عند المعصية بهمّ بها"؛ (٣) أن يكون التفات الإنسان في كلّ هذه [الذنوب] إلى □ عزّ وجل؛ فيمنع ذكر □ الإنسان من ارتكاب هذه المعصية.

"فيحول ذكر □ بينه وبين تلك المعصية وهو قول □ عزّ وجل إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا". ثمّ يقول الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) بأن هذا هو تفسير تلك الآية: "إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان"؛ عندما يقترب منهم الشيطان ويمسّهم؛ أي لم يسيطر عليهم بعد، "تذكّروا"؛ "فإذا هم مبصرون" (٥) يؤدّي هذا الذكر إلى أن تتفتّح أعين هؤلاء. وهذا هو معنى "ذكر □ على كلّ حال".

وفي صدر الرواية التالية التي تحظى باهتمامي، وردت تقريباً نفس العبارات التي جاءت في الرواية التي قرأتها وتمّ ذكر نفس تلك الأمور الثلاثة. وفي تلك الرواية يقول، "وذكر ا [على كلّ حال"، وفي الرواية المنقولة هنا عن أبي عبدا [يقول عليه السلام: "وذكر ا [في كلّ المواطن؛ أن يذكر الإنسان ا [في كلّ مكان.

لكن النقطة التي حظيت باهتمامي هي قوله: "أمّا أنّي لا أقول سبحان ا [والحمد [ولا إله إلاّ ا [ولا ا [أكبر؛ فإنّ توصيتي بأن تذكروا ا [في كلّ حال، لا تعني بأن تقولوا سبحان ا [والحمد [ولا إله إلاّ ا [وأ [أكبر. هذا ذكرٌ لفظي. "وإن كان هذا من ذاكَ؛ رغم أنّ هذا ذكرٌ أيضاً، وهو ذا قيمة كبيرة؛ لكن ليس هذا ما أقصده، بل "ولكن ذكره في كلّ موطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته" (٦) - هجمت أو هممت، لكن النسخة التي رأيتها وردت فيها كلمة هجمت، وأحتمل كونها هممت. - والمقصود هو "تذكّر ا [". طبعاً هذه الأذكار الواردة في رواياتنا، وفي هذه الأدعية، وفي الأوراد المتنوّعة، وتسيحة الزهراء (سلام ا [عليها) وسائر الأذكار الموجودة؛ هذه كلّها أدوات ذكر، وعلى الإنسان أن يجربها على لسانه مع الالتفات إلى معانيها وحقائقها. (٧)

لا ييأس الشيطان أبداً من الوسوسة!

أنتم تلاحظون أن "عباد ا [المخلصين" أيضاً يقعون في معرض وساوس الشيطان؛ والأنبياء الإلهيين العظام أيضاً يتعرّضون للاختراق وتدخل الآراء والوساوس الشيطانية؛ لكنّ الشيطان لا يقوى عليهم، لكنّه يقدم على خطوته على أيّ حال. والشيطان يستهدف المخلصين أيضاً؛ لكنّ المخلصين يوجّهون صفعتهم لها؛ "إنّ الذين اتّفقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون".

الشيطان الأكبر، هو شيطان الاستكبار وشيطان السياسة الذي يتصرّف بنفس الأسلوب؛ ويتلقّى الصفعات أيضاً، لكنّه لا ييأس. لا نظنّ أنّّه سوف يكفّ عن وساوسه لأنّنا لم نفسح له المجال - منذ انتصار الثورة حتّى اليوم - ونسمح له بإيجاد الخلافات بيننا؛ أبداً، الشيطان الأكبر، أي أمريكا وأذنا بها - الحكومات الرجعية - تفكّر دائماً بالفصل بين الإخوة من عائلة واحدة بواسطة الأساليب السياسية واستحداث المذاهب المخترعة والتوسّل بسياساتها الشيطانية؛ فما بالكم بالإخوة في الدين والوطن ومختلف القوميات! (٨)

(١) كلمته في خطبتي صلاة الجمعة ١٧/١/١٩٩٧

(٢) سورة الأعراف؛ الآيتين ١ و ٢

(٣) كلمته في خطبتي صلاة الجمعة ٤/٣/١٩٩٤

(٤) كلمته في خطبتي صلاة الجمعة ١٧/١/١٩٩٧

(٥) الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٣١. عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ثَلَاثٌ مِنْ أَشَدِّ مَا عَمِلَ الْعَبِيدُ إِزْمَافُ الْمُؤْمِنِ مِنْ نَفْسِهِ وَمُؤَاسَاةُ الْمَرْءِ أَخَاهُ وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَلِّ حَالٍ وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الْمُعْصِيَةِ يَهُمُّ بِهَا فَيَحُولُ ذِكْرُ اللَّهِ بِيَدَيْهِ وَبَيْنَ تِلْكَ الْمُعْصِيَةِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ السَّادِّينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّ هُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ.»

(٦) الكافي، ثقة الإسلام الكليني، ج ٢، ص ١٤٥. يقول حسن البزاز: قال لي الإمام الصادق (عليه السلام): «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَشَدِّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَلْقِهِ ثَلَاثٌ قُلَّتْ بِلَايَ قَالَ إِزْمَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَمُؤَاسَاةُكَ أَخَاكَ وَذِكْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ أَمَا إِنَّ نَبِيَّ لَا أَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ ذَاكَ وَلَكِنْ ذِكْرُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ إِذَا هَجَمَتِ عَلَيْهِ طَاعَةٌ أَوْ عَلَيْهِ مَعْصِيَةٌ.»

(٧) كلمته في لقاء مع مسؤولي النظام ٢٢/٩/٢٠٠٧

(٨) كلمته في مراسم بيعة مختلف الفئات الشعبية المسلمة الكرديّة من محافظتي كردستان و آذربيجان الغربيّة وباختران